خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٠٣/٠٦/١٣

في مسجد الفضل بلندن (بريطانيا)

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ آمين.

﴿فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة: ١٣٨)

يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه في تفسير هذه الآية:

يقول الله سبحانه وتعالى إنهم إذا تولوا وعارضوكم فلا تقلقوا ولا تحزنوا، إذ لا يوجد أي سبب لإعراضهم سوى أنهم مزمعون على معارضتكم وليسوا مستعدين للاتفاق معكم بحال من الأحوال. ؟هذه العبارة في الحقيقة "إن هم إلا في شقاق"، أي لا تقلقوا على إعراضهم هذا. ولعله كان في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – بعض المسلمين من ضعاف القلوب مَن ظنَّ أن هؤلاء سوف يبتعدون عنا أكثر من ذي قبل، فيطمئنهم الله: إنهم كانوا بعيدين عنكم من قبل، وليسوا مستعدين لقبول ما يقربهم إلى الله، وما دام البُغض قد تمكن من قلوبهم لهذه الدرجة، وما داموا بعيدين عنكم كل هذا البعد من قبل، فكيف يمكن أن يتفقوا ويتّحدوا معكم؟ فلا تخافوا إعراضهم قائلين: هذا سوف يؤذينا ويسبب الحروب.

﴿فسيكفيكهم الله﴾ أي إن الله تعالى سوف يكفيك أذاهم، ويحميك من هجماتهم، وسوف يحفظك بنفسه. الحق أنه ما لم يحُز الإنسان هذا المقام من الإيمان لا يمكن أن يسمى مؤمنا حقيقيا. إن الإيمان الصحيح أن يقف المؤمن واثقا بأن ربه معه ولن يدَعَ عدوَّه يتغلبه مهما بذل العدو من جهد لإيذائه، ويقول لو أني مِتُّ في مواجهة عدوي فلا ضير ولا همّ، لأني راجع إلى ربي حصرا بعد الموت... يقول الله تعالى: لماذا تخافون؟ إذا كنتم آمنتم بالله فهو الذي يحفظكم ويحميكم من كل أذى وخسران. فإذا لم يؤمن هؤلاء فاعلموا وتأكدوا أن في قلوبهم عداوة متمكنة نحوكم، وسوف يثيرون الشر، ولكن الله سيكفيكم شرهم، ويحميكم من هجومهم، ولن يضركم كيدهم شيئا.

يبين سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه أكثر فيقول:

﴿وهو السميع العليم﴾ .. لا تظنوا أن الله قد وعدكم بالنصر فلا حاجة لكم لعمل أي شيء بل عليكم أن تستعينوا بالدعاء والتضرع إليه، فهو السميع، والعليم الذي يعلم ما لا تعلمون من المكائد والمؤامرات ولسوف يدبِّر لها ما يبطلها. الإنسان أمام عدوه يكون في حالتين: إما أنه يهاجَم من قبل العدو وهو يعرف الهجوم، ويحاول أن يقاوم العدو قدر المستطاع، ويكيد للدفاع عن نفسه؛ أو أن العدو يهاجمه في غفلة منه، أو يهاجم بوسائل لا يعرفها. كأن يشتري بالرشوة بعض أصحابه ويضره به، أو يهاجمه وهو نائم أو يتربص له في الطريق، أو يفاجئه في الظلام، أو يرميه عن بعد، أو يدس له السم في الطعام أو الشراب، أو يسرق ماله ومتاعه. لا يعرف الإنسان كل هذه الهجمات التي يشنها العدو وهو غافل عنها. وهناك وسائل وتدابير للدفاع ضد هذين النوعين من الهجمات. يقول الله تعالى إنا نعرف بأي أسلوب سيهاجمكم العدو، فلو كنتم تعلمون هجومه ولكن لا قوة لكم للدفاع عن أنفسكم، فلكم إله سميع عليم، يعرف أن العدو يهاجمكم وأنكم لا تقدرون على مقاومته فلا تحزنوا، بل عليكم أن تنادونا وسوف نحضر لنجدتكم على الفور. ولو هاجمكم العدو على حين غرة بأن كنتم نائمين أو في الظلام، أو هاجمكم فجأة متربصا بكم في الطريق، أو دس لكم السم في الطعام، أو غدر بكم ليسرق الأموال، أو أغوى أحدا من أصحابكم ليخونكم وأنتم غافلون عن ذلك فنحن على علم تام بكل ما يجري، وعندنا كل قوة، فلا تقلقوا في هذه الأحوال أيضا، بل ادعوا الله تعالى يستجب لكم ويُزِلْ كل مشاكلكم، ويرد عدوكم خاسرا ذليلا. (التفسير الكبير مجلد ٢ ص٢١٥-٢١٦)

فحين يواجه الإنسان أي مصيبة أو آفة، يدعو الله، وهذا طبيعي ولا يخص الأمر المؤمن أو الكافر، فكل إنسان في هذه الآية يدعو الله تعالى حتى لو لم يكن يؤمن به وكان ملحدا، ففي الاضطرار يسمع الله، لكن ما يجب على المؤمن أن يداوم على الدعاء في والسلام الرخاء أيضا، ويدعو الله دوما لحمايته ولتقدم الجماعة لكي ينفع الدعاء السابق في العهد الصعب، ولكي يُظهر الله ﷻ مشاهد قبوله سريعا. لذا فمن الواجب على كل أحمدي دوما ألا يدعو في أيام المصيبة والمشاكل للجماعة بل يجب أن يستمر في الدعاء، علينا أن ندعو الله ﷻ أن يحفظنا من المشاكل ويجب علينا أن نكثر من الدعوات، وأن نتوجه إلى الله دوما.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام فلو آمن كذلك بقية الناس الذين يعارضون الإسلام أيضا ولم ينكروا نبيا جاء من الله تعالى لاهتدوا حتما. وإن أعرضوا وآمنوا ببعض الأنبياء وأنكروا بعضا آخرين، فقد عارضوا الحق وأرادوا أن يخلقوا الفُرقة في طريق الدعوة إلى الله. فاعلم أنهم لن يغلبوا على الإطلاق والله يكفي لمعاقبتهم. والله يسمع ما يقولون وكلامهم لا يخرج عن نطاق علمه. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية مجلد ٢٣ ص٣٧٧)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ (سورة البقرة: ١٣٨) ... أي إن لم يؤمنوا مثلكم فهم قوم لا يريدون أن يتوقّفوا عن المعارضة ولا يرغبون في

الصلح. (المذكرات المسجلة في البراهين الأحمدية الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، مجد ٢١ ص٤١٨)

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة: ١٣٨) أي يكفيك الله لذب شرورهم، وهو السميع العليم. (البراهين الأحمدية، الحاشية رقم ١١ الخزائن الروحانية، مجلد ١)

ثم قال حضرته عليه السلام: سينصرك الله تعالى على جميع الذين يعرقلون هذا العمل. (مجموعة الإعلانات مجلد ١ ص١١٦)

ففي الأوضاع المعاصرة يجب أن لا ييأس أي أحمدي، فهناك وعود الله، فقد نصرَنا الله دوما وسيظل ينصرنا إن شاء الله. فهو يسمع بذاءة المعارضين، ففي باكستان في هذه الأيام أثيرت ضجة ملحوظة، وهو ﷻ عليم بأن هؤلاء الناس يبيحون ظلم الأحمديين، وبحسب قدره سيبطش بهم إن شاء الله. وقد جربنا إذ في الماضي القريب أرانا مرارا مشاهد هذا البطش وأظهر قدرته، إذن ليس ثمة سبب ليأس قلوبنا، أو أن ينشأ في قلوبنا إحساس بسيط باليأس، لكنه في الوقت نفسه من واجبنا أيضا أن نعرف أن الله ﷻ قد ألقى علينا المسئولية أن ننيب إليه أكثر من ذي قبل، وأن نسأله لكي ينشأ لدينا الإحساس بأن لدعواتنا أيضا نصيبا في ظهور القدر الإلهي الغالب، وأن الله قد أجاب دعاءنا، لذا يجب أن ندعو الله كثيرا في هذه الأيام. ثم يقول الله ﷻ ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سوة البقرة ٢١٨)

ورد في هذا الآية موضوع الوصية، يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه:

إذا قام أحد بوصية، وغيَّرها شخص آخر، فالإثم في عنق من عدلها أو نسخها. وهذا التغيير يتم بطريقتين: الأولى: أن يملي الموصي وصيته بكلمات فيكتبها الكاتب -بنية شر-بكلمات أخرى تعكس المراد، فكأنه يقوم بتغيير الوصية أمام الموصي أثناء كتابتها. أما الطريقة الثانية فهي أن يغيرها بعد وفاة الموصي، أي لا يعمل بحسب ما أوصى به، بل يخالف وصيته عند تنفيذها. وفي كلتا الحالتين يكون وبال هذا الإثم على من يغيرها. وفي قوله (إثمه) ذكر السبب مكان المسبَّب .. إذ ليس المراد الإثم وإنما وبال الإثم.

تبين هذه الكلمات أنها إشارة إلى بعض أحكام القرآن، وهذا الحكم هو حكم الإرث، وإلا فما معنى قوله تعالى (إنما إثمه على الذين يبدلونه).. وليس إثمه على الموصي. لأن تفاصيل الوصية إذا كانت معارضة للشرع فلماذا يكون الإثم على من يبدلها؟ إنما يكون المبدل آثما إذا كان يخالف حكما شرعيا. فهذه المخالفة هي أن يكون المتوفى قد أوصى بتقسيم أمواله بحسب الأحكام الشرعية، ولكن الورثة لم يعملوا بوصيته، وعندئذ لا يكون الإثم على الموصي وإنما الورثة الذين يغيرون الوصية هم الآثمون. (التفسير الكبير مجلد ٢ ص٣٦٨)

يقول سيدنا الخليفة الأول في هذا الخصوص:

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يقول الله تعالى: إني إله عليم وقد حدّدتُ الحصص بحكمة، وأسمع الذين يبدّلون الوصايا أيضا. فقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ (النساء: ١٥)، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ اسمعوا الآن ما قد بُدّل. أولا وقبل كل شيء: لا تُعطى البنات الإرث. لقد أطلق الله كلمة "الحرث" على النساء وعلى الأرض أيضا. أطلق "الأرض" على الأرض المعروفة وعلى النساء أيضا. ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ فانظروا إلى النتيجة، فمنذ تركوا إعطاء البنات نصيبا من الإرث وقعت أراضيهم في قبضة الهندوس. فالذين كانوا يملكون مئة هكتار مثلا في وقت من الأوقات لم يعودوا يملكون هتكارا واحدا. وذلك لأن الله ﷻ قد قال بكل صراحة في سورة النساء آية ١٥: ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، وأية ذلة أكبر من هذا. قد ازدادت الاعتداءات على النساء كثيرا. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ (البقرة: ٢٣٢)، ثانيا: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ٢٠)، ثالثا: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾ (الطَّلَاق: ٧)،رابعا: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ (النساء: ٢٠)، خامسا: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٩)، ومع كل ذلك قد ازدادت مظالم النساء بصدد الإرث. وهناك ظلم آخر وهو أن بعض الظالمين لا يمسكون النساء ولا يطلقونهن. (حقائق الفرقان مجلد ١ ص٣٠٠)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في تفسير هذه الآية:

من بدل الوصية بعد سماعها فذنبه على الذين يرتكبون جريمة تبديلها عمدا. ثم قال: إن الله سميع عليم: فلا تخفى عليه المشاورات من هذا القبيل، وإن الله ليس عاجزا عن الإحاطة بهذه الأمور علمًا. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية مجلد ٢٣ ص٢١٠)

كما قال سيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه إن الناس لا يدفعون حقوق النساء، أي لا يعطونهن نصيبهن الشرعي من الإرث، ونلاحظ في العصر أيضا في القارة الهندية ومناطق أخرى أن النساء لا يعطَين نصيبهن الشرعي من الإرث، وإن نظام الجماعة يطلع على ذلك حين تنخرط بعض النساء في نظام الوصية، حيث يكتبن أنه كان لي كذا من العقار في الإرث لكنني أعطيته لأخي أو لإخوتي، والآن لا أملك شيئا. وكلما درسنا الموضوع بعمق تبين لنا أن الأخ أو الإخوة لم يقدموا لها نصيبها أصلا، وإنما صرحوا للحفاظ على كرامتهم في المجتمع إنا قد أعطيناها. ومن الملاحظ أيضا أن الإخوة أو الورثة الآخرين يقدمون لهن مبلغا بسيطا مقابل ذلك، مع أن نصيبها من العقار يكون له ثمن كبير جدا. فسيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد توقع من المنخرطين في نظام الوصية أعلى معايير التقوى، لذا يجب أن يقولوا دوما قولا سديدا، ويقصوا الحقائق دوما، لأن مسؤولية إحراز أسمى مستويات التقوى وتنفيذ أحكام الشريعة تقع على المنخرطين في نظام الوصية أكثر بكثير من الآخرين. لذا يجب أن توضح المرأة الحقيقة بغض النظر عن تعرض أخيها لاعتراض أو سخط، ذلك لكي يتحرك النظام ويسعى لإعطاء كل ذي حق حقه إذا كان قد غُصب منه. ثانيا لماذا يحرمن أنفسهن مما أعطاهن الله ﷻ بحسب الشريعة، وليس ذلك فحسب بل بعد الانخراط في نظام الوصية

لا يدفعن ما يُستحق عليهن من تبرعات الوصية من نصيبهن في الإرث، نتيجة تقديمهن معلومات غير صحيحة، ولا يعطين الله ما يردن إعطاءه من مالهن. لذا يجب الحذر الشديد في هذا المجال، فعند الانخراط في نظام الوصية يجب أن تسجل كل هذه الأمور بوضوح بعد التدبر جيدا.

وتوجد آية عن صفة الله السميع، حيق يقول الله ﷻ:

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة ٢٢٥)

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ:

يقول الله تعالى: لا تتخذوا الله عرضة. فكما يطلق الرامي بالسِّهام على عُرضته مرة بعد أخرى، كذلك لا تقسموا باسمي مرة بعد أخرى وتقولوا: والله سوف نفعل كذا، بالله سوف نقوم بكذا.

وقوله ﴿أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ جملة استئنافية منفصلة، هي مبتدأ خبرها محذوف وتقديره: أمثل وأولى. أي: بِركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس أمثل وأولى. لا يليق بالإنسان أن يكتفي بالقسم، بل عليه أن ينجز عملا بدلا من أن يقسِم قسَما. ما الفائدة في أن يقسم قبل أن يفعل شيئا؟ هذا هو ما قاله النحوي الشهير والأديب الزّجّاج (البحر المحيط).

والمعنى الثاني ألا تجعلوا الله عائقا يحول دون إتيانكم الأمور التي تُقسمون لأجلها .. من البر والتقوى والإصلاح بين الناس. وباعتبار هذا المعنى تكون هذه الخيرات الثلاثة عطف بيان، ولا تكون الأيمان بمعنى الأقسام، وإنما بمعنى الأمور التي يُقسَم عليها أو لأجلها. والمراد: لا تحلفوا بالله ألاّ تفعلوا كذا من البر والعمل الصالح .. تنصلا من سؤال الناس، ولا تتذرعوا بالقسَم لتتهربوا من القيام بهذه الأعمال. فمثلا يأتي أحد المحتاجين ويطلب بعض المال فيرد المسئول: لقد أقسمت ألا أُقْرض أحدا.

يقول حضرته: معنى ذلك أنه إذا طلب منكم أحدهم التعاون للبر والتقوى والإصلاح بين الناس فلا تقولوا له قد أقسمت، لذا لا أستطيع ذلك.

والصورة الثالثة أن يعتبر قوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) مفعولا لأجله، والمعنى: لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم كراهة أن تبروا .. والمراد: لا تقسموا بأنكم لن تفعلوا هذه الأعمال وإلا تحرمون من هذه الحسنات، عليكم تجنب هذا الأسلوب التافه لكي تتقدموا في البر والتقوى والإصلاح بين الناس.

الحقيقة أن كل هذه المعاني المذكورة آنفا متشابهة مترادفة. وقد لجأ المفسرون إلى هذه الطرق المختلفة لحل المشكلة الموجودة في العبارة العربية. أمّا ما يتفق عليه جميع المفسرين فهو أن هذه الآية تعني ألا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم في كل صغيرة وكبيرة، فإن هذا يتنافى مع احترام الدين، والذي يقسم على كل شيء يمكن أن يقسم في أمور الدين والخيرات أنه لن يفعل أمرا كهذا، والنتيجة أنه إما أن يسيء الأدب تجاه الدين، أو يُحْرَم من حسنات كثيرة.

أو لا تجعلوا الله عائقا يحول دون إتيانكم الأعمال الحسنة. وفي هذه الصورة ينطبق معنى اليمين أي الحيلة في المصارعة انطباقا جيدا. والمراد أن بعض الناس يتهربون من فعل الخيرات كأداء صدقة مثلا بأنواع الحيل، ويتخذون القسم بالله ذريعة للتنصل منها. وكأن القسم بالله أيضا من الحيل التي يصرع بها الإنسان الآخرين. فلا تستخدموا اسم الله لمثل هذه الحيل الخبيثة. وأرى أن أفضل شرح قدمه العلامة أبو حيان: لا تجعلوا الله عائقًا يحول دون إتيانكم فعل الخيرات والإحسان إلى الناس.

وقوله تعالى (والله سميع عليم) بيَّن أنه إذا واجهتم المشاكل والعوائق في سبيل البر والتقوى والإصلاح بين الناس فاستعينوا بالله على إزالتها واشتغلوا بالدعاء دائما، لأن هذه المهمات لا تتم إلا بالدعاء. ثم بيَّن أن الله عليم أيضا وإذا أنبتم إليه فسوف يعلمكم من علمه الخاص، ولن تبقى قدمكم على الدرجة الدنيا من سلم التقوى والبر بل سوف ترزقون نصيبا من العلم اللدني أيضا. (التفسير الكبير مجلد ٢ ص٥٠٦-٥٠٧)

يقول سيدنا الخليفة الأول ﷺ: ﴿عُرْضَةً﴾ لا تجعلوا اسم الله عرقلة في سبيل كسب الحسنات، كأنْ يقول أحد حالفا بالله: إنه لن يحسن إلى فلان أو لن يدخل بيت فلان. (حقائق الفرقان مجلد ١ ص٣٦١-٣٦٢)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"إن الحلف باليمين اللغو أو الكاذب ممنوع بحسب القرآن الكريم، لأن ذلك استهزاء بالله وإساءة إليه. كما مُنع من الأيمان التي تحرم من الحسنات، كما أقسم سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ قائلاً: لن أتصدق على الصحابي مسطح بعد الآن، فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾، أي: لا تحلفوا أيماناً تمنعكم من الأعمال الصالحة.

وقد ورد في تفسير المفتي أبي مسعود مفتي الروم، في تفسير الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾، إن "العُرضة" ما يصير عاجزاً ومانعاً من فعل أمر ما. وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، حين حلف أنه لن يعطي مسطحاً الصحابي شيئاً من الصدقة، بسبب مشاركته في حديث الإفك.

فيقول الله تعالى في هذه الآية: لا تحلفوا أيماناً تمنعكم من فعل الخير والأعمال الصالحة، ولا تمتنعوا عن الحلف الذي يحل النزاع. (الحكم مجلد ٨ رقم ٢٢ بتاريخ ١٩٠٤/٧/١٠ ص٧)

الآن أتناول بعض الأحاديث التي ورد فيها ذكر صفة الله السميع، وأذكر بعض الأحداث لإجابة دعاء سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام.

إن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَذْكُرُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ الْمِنْبَرِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتْ الْمَوَاشِي وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا قَالَ أَنَسٌ وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةً وَلَا شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ قَالَ فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ

التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتْ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ قَالَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتْ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالْآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ قَالَ فَانْقَطَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ. (البخاري كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في المسجد الجامع)

توجد رواية من هذا النوع عن سيدنا الخليفة الأول ﷺ أيضا. يقول شودري غلام محمد ﷺ: في موسم الأمطار في عام ١٩٠٩ نزل المطر لثمانية أيام متتالية، فانهدم عدد من البيوت في قاديان، وفي اليوم الثامن أو التاسع قال سيدنا الخليفة الأول ﷺ الآن سأدعو وعليكم أن تؤمّنوا جميعا. بعد الدعاء قال حضرته اليوم دعوت دعاء دعاه النبي ﷺ مرة واحدة في حياته، وكان لإيقاف المطر. والجدير بالذكر حضرته حين بدأ الدعاء كان المطر الغزير ينزل، وبعده انقطع، وكانت السماء وقت العصر صافية تماما، وكانت الشمس مشرقة.

في معركة بدر حين كان النبي ﷺ قائما مع أصحابه الشجعان المخلصين، ظهرت آثار تأييد إلهي، إذ كان الكفار قد نصبوا خيامهم على أرض صلبة، ليثبتوا، وتركوا للمسلمين أرض رملية، فأنزل الله ﷻ المطر وجعل أرض الكفار وحلا، بينما صار مكان المسلمين صلبا، وكذلك ظهرت تأييدات سماوية أخرى أيضا. مع ذلك كانت خشية الله ﷻ مستولية على النبي ﷺ بحيث كان يخاف استغناء الله رغم كل الوعود والخوارق، وكان يتضرع إلى الله باضطراب، ليجعل المسلمين منتصرين، فكان يدعو الله بإلحاح كان رداؤه يسقط من منكبيه مرة بعد أخرى، وكان يقول: اللهم أنجز وعدك وانصر عبدك، يا رب

إن هلكت هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض.

كان – صلى الله عليه وسلم – يدعو في كرب شديد، فتارة كان يخر ساجدا، وأخرى يدعو قائما، حتى إن رداءه كان يسقط من منكبيه مرة بعد أخرى. وقال علي – رضي الله عنه –: في أثناء القتال كلما كنت أفكر في النبي – صلى الله عليه وسلم – كنت أجري إلى عريشه، وكلما أتيته وجدته يبكي ويبتهل ساجدا، وقد سمعته يقول: يا حي يا قيوم. أي يا إلهي الحي القيوم. وكان أبو بكر – رضي الله عنه – حين يراه في هذه الحالة كان يصاب بالقلق، وكان يقول بمنتهى الإخلاص: يا رسول الله، فداك أبي وأمي، لا تحزن، فإن الله سوف ينجز لك وعده، ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم – ظل عاكفا على الدعاء والابتهال وفقًا للمقولة الفارسية الحقة: مَن كان أكثرَ عرفانا كان أكثرَ خشيةً. فكان في قلبه ﷺ يكمن إحساس عميق لخشية الله، أن يكون في وعد الله جانب خفي يتغير به القدر لعدم علمه ﷺ. (سيرة خاتم النبيين لحضرة مرزا بشير أحمد ﷺ ص٣٦١)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ (البخاري كتاب الجهاد، باب ما قيل في درع النبي ﷺ)

فانظروا كيف واجه العدو الذلة في بدر.

حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ فَقَالَتْ مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ قَالَ فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتْ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمْ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي. (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة)

الآن أقدم لكم أحداثا تدل على تقبُّل دعاء سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام.

يقول حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ: تدهورت صحة مير محمد إسحاق المحترم في الطفولة كثيرا، وتأزم الوضع وصار خطيرا، وأبدى الأطباء يأسا في الشفاء، فدعا له سيدنا المسيح الموعود عليه السلام فتلقى أثناء الدعاء الوحي: "سلام قولا من رب رحيم" أي قد تُقُبل دعاؤك، وأن الله الرحيم الكريم يبشرك بصحة هذا الولد. وبعد ذلك تحسن حضرة مير محمد إسحاق سريعا تماما على عكس التوقع. وشفاه الله ﷻ بنفس مسيحه. (السيرة الطيبة تأليف حضرة مرزا بشير أحمد ص٢٦٨)

أقدم لكم آية عظيمة لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام بخصوص إجابة الدعاء.

بعض المعارضين غير الأحمديين من كبورتهله احتلوا المسجد الأحمدي وحاولوا أن يُبعدوا عنه الأحمديين المحليين وأخيرا رفعت القضية إلى المحكمة واستمرت طويلا، فكان كثير من الإخوة في كبورتهله قلقين وكانوا يطلبون الدعاء في الرسائل من المسيح الموعود عليه السلام بدافع القلق، ذات يوم قال حضرته عليه السلام متأثرا بإخلاص الإخوة وقلقهم وقال على طلبهم بغيرة، لا تقلقوا إذا كنتُ صادقا فسوف تنالون هذا المسجد حتما، لكن

نية القاضي كانت سيئة، وظل يبدي سلوكا معارضا، حتى قال أخيرا في المحكمة علنا للأحمديين، أنتم اخترعتم دينا جديدا، والآن ستجبرون على بناء مسجد أيضا جديدا، وبحسب هذا سأحكم. لكنه لم يكن قد كتب الحكم بعد، وكان ينوي أن يكتب بعد الحضور في المحكمة، فقال جالسا في شرفة فيلاه للخادم أن يُلبسه الحذاء، فكان الخادم يلبسه الحذاء إذ أصيب القاضي بنوبة قلبية فجأة، فمات خلال لحظات. والقاضي الذي عُين مكانه حين قرأ الملف وجد الأحمديين على حق فحكم لصالحهم. (السيرة الطيبة تأليف حضرة مرزا بشير أحمد ص١٢٥-١٢٦)

وتوجد واقعة أخرى قد أوردها المسيح الموعود عليه السلام في كتابه ينبوع المعرفة: وهناك مثال حديث لإجابة الدعاء لم يُسجَّل في أيّ كتاب من قبل فأسجله لفائدة القراء الكرام وهو كما يلي:

لقد واجه نواب محمد علي خان، زعيم مالير كوتله، مع إخوته مشاكل عويصة. من جملتها أنه عُدَّ كعامة الناس من الرعية التي كانت تحت ولايته. فبذل قصارى جهده بهذا الشأن ولكنه لم ينجح. ولم يبق أمامه إلا مجال واحد كمحاولة أخيرة أن يستغيث عند الحاكم العام مع أنه لم يكن هناك أمل في نجاحه في ذلك أيضا لأن الحكام دونه كانوا قد أصدروا قرارا قطعيا ضده. ففي هذه الحالة من طوفان الهم والغم لم يطلب مني الدعاء فقط بل وعد أيضا- كما هو مقتضى طبيعة الإنسان- أنه إنْ رحمه الله تعالى ونجّاه من هذا العذاب سوف يدفع بعد نجاحه ثلاثة آلاف روبية نقدا دون تأخير لنفقات دار الضيافة. فأُلهمتُ بعد أدعية كثيرة ما تعريبه: يا سيفُ غيِّر اتجاهك عن هذا الجانب، فأخبرتُ السيد نواب محمد علي بهذا الوحي الإلهي. ثم رحمه الله بعد ذلك وصدر الحكم من محكمة الحاكم العام بحسب مطلبه ومقصوده ومراده. فدفع لي دون أدنى تأخير أوراقا نقدية بقدر ثلاثة آلاف روبية كما نذر من قبل. وكانت آية عظيمة ظهرت للعيان. (ينبوع المعرفة الخزائن الروحانية مجلد ٢٣ ص٣٣٨-٣٣٩

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

الآية الخامسة التي ظهرت في هذه الأيام هي استجابة الدعاء، ومَثَلُهَا مثل إحياء الموتى في الحقيقة. وبيان ذلك أنه كان هناك طالب اسمه عبد الكريم بن عبد الرحمن من حيدر آباد دكن يدرس في مدرستنا. فشاءت الأقدار أن يعضه كلب مسعور. فأرسلناه إلى مدينة كسولي للعلاج. فعولج هناك بضعة أيام ثم عاد إلى قاديان. وبعد مرور بضعة أيام على ذلك بدت عليه آثار الكَلَبِ التي تظهر عادة إثر عضةِ كلب مسعور، فكان يرهب الماء وصارت حالته خطيرة جدا. فرقَّ قلبي كثيرا لهذا الشاب الغريب عن وطنه وتوجّهت إلى الدعاء بتركيز خاص، في حين كان الجميع يرون أن هذا الغريب سيموت خلال سويعات. فأخرجناه من دور الطلاب مضطرين وأقمناه في غرفة منفصلة واتخذنا الحذر الشديد. ثم أرسلنا برقية إلى الأطباء الإنجليز في مدينة "كسولي" سألناهم فيها إذا كان له من علاج في هذه الحالة، فجاء الجواب منهم أن لا علاج مجديا له. ولكن نشأ في قلبي لهذا الشاب الغريب اهتمام كبير. كما أصر أحبائي أيضا كثيرا على الدعاء له

لأنه كان جديرا بالرحم لأنه غريب عن وطنه. وخفتُ أيضا أنه لو مات لكان موته في هذه الحالة البائسة مدعاة لشماتة الأعداء. فتألم قلبي واضطرب اضطرابا شديدا من أجله وحصل للدعاء له تركيز خارق، لا يحصل من تلقاء النفس بل بفضل الله تعالى فقط، ولو حصل لأبدى بإذن الله تعالى تأثيرا من شأنه أن يحيا به الميت. باختصار، حصلت من أجله حالة الإقبال على الله وبلغ التركيز ذروته واستولى الألم على قلبي بكل معنى الكلمة. عندها بدأت آثار ذلك التركيز تظهر على المريض الذي كان في حكم الميت في الحقيقة. فكان يرهب الماء والضوء، أما الآن فقد بدأ طبعه يميل إلى التحسن وقال إني لا أخاف الماء الآن. فأُعطي الماء وشَرِبه دون أدنى خوف بل توضأ به وصلّى ونام طوال الليل نوما هادئا وزالت عنه حالة الخوف والوحشة حتى شفي تماما خلال بضعة أيام. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢ ص٤٨٠-٤٨١)

هذه الواقعة لم تظهر قبل ذلك اليوم ولا بعده، لأنه إذا نشأ التأثير مرة يقول الأطباء أنه لا علاج له.

يقول حضرة مولانا غلام رسول راجيكي ﷺ ابن ميان كرم الدين من سكان قرية راجيكي في محافظة غجرات: في منطقة حافظ آباد قرية، يقيم بها شخص يدعى إلهي بخش، فجهزه الأحمديون مرة لزيارة قاديان فتجهز، لكنه قبل النزول في محطة بطالة أصيب بالحمى، فنزل على المحطة مصابا بالحمى، فقابله المولوي محمد حسين البطالوي، فلما رأى أن هذا الرجل ذاهب إلى قاديان وهو مصاب بالحمى، وسوس له أن المرزا لو كان صادقا لما أصيب بالحمى في الطريق. ثم قال: هناك في قاديان تجارة، فلا تذهب إلى هناك. لكنه قال: سأذهب إلى هناك مرة حتما. فجاء قاديان، ولما كان جالسا في مجلس حضرته عليه السلام قال حضرته: يقول بعض معارضينا إن هنا تجارة، ولا شك أن هنا محلا إلا أنه يباع بضاعة الله ورسوله، فانفتحتْ عيناه وتجدد إيمانه، وزالت عنه الحمى على الفور. (سجل الروايات رقم ١٢ ص١٤٠)

الآن أقرأ عليكم أحد إلهامات سيدنا المسيح الموعود عليه السلام الذي تلقاه في ١٨٨٣: يا عبد القادر إني معك أسمع وأرى. (البراهين الأحمدية الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية مجلد ١ ص٦١٣)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: لقد وجدتُ من خلال تجربتي الشخصية أن تأثير الدعاء أنفذ من تأثير الماء والنار، بل ليس في سلسلة الأسباب الطبيعية شيء ذو تأثير عظيم مثل الدعاء. (بركات الدعاء الخزائن الروحانية مجلد ٦ ص١١)

يقول حضرته: لقد أودع الله الدعاء قدرات عظيمة، إنما قال الله لي في الإلهامات المتكررة أن كل ما سيحدث فإنما بالدعاء. (سيرة المسيح الموعود عليه السلام تأليف يعقوب علي عرفاني ﷺ ص٥١٨)

***